الكبار بحاجة إلى وقفات أُخَرْ

علي الشوك في سيرته الذاتية

وأنا أقرأ روايته (السراب الأحمر - سيرة حياة هشام المقدادي) الصادرة طبعتها الأولى عن (دار المدى للثقافة والنشر) عام ٢٠٠٧، والتي هي فصل من رباعية روائية خطها يراع الأديب الكاتب متعدد المواهب والإمكانات علي الشوك، أقول وأنا أقرأ الرواية التي كتبتُ عنها نقداً عنوانه (علي الشوك روائياً. هل آلت آمال هشام المقدادي إلى سراب حقاً؟)

■ شـكـيـب كـاظـم

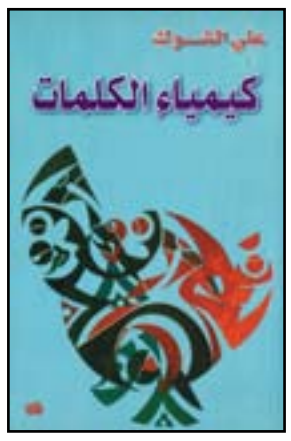

اللثام عن بعض مغاليق النص، أو إضافة قراءة تكميلية للنص الروائي....“ تراجع ص ٧٨ من كتاب (الساردرائياً).

إذ ترد كما قلت آنفاً إشارات عدة إلى هذا التعالق النصي أو التواشج بين السيرة الذاتية والكتابة الروائية أو امتياح الرواية من السيرة الذاتية، إذ يذكر في الصفحة ١٠٩ “أنا الآن في ١٩٨٧، دعاني نبيل الشوك لأقيم شهراً في الرباط (....) فكانت تلك الزيارة من أجمل (المشاوير) في حياتي، فهناك صرت ألتقي بخالد الجادر (....) وكانت أروع رفقة في حياتي (....) وقد ذكرت كل تفاصيل هذه الرفقة في رواية (الأوبرا والكلب) التي سأعود إلى الكلام عنها فيما بعد.

وسيعود إليها ثانية في الصفحة ١٧٠ قائلاً“ وقد استفدت من سفرة كريت في رواية (الاوبرا والكلب) التي سأعود إلى الحديث عنها وسيعود للحديث عن (الاوبرا والكلب) التي يعدها أفضل ما كتب ولكنه وإذ بدأ بتدوين مذكراته في سن متقدم، فإنه كان يعاني نسياناً وهذا من طبائع الحياة والأشياء، لذا كان علينا إنجاز ما نريد إنجازه يوم كنا نقوى على ذلك ويحضرني هنا رأي طريف وجاد لأستاذي الدكتور علي جواد الطاهر إذ قرأت مقابلة ثقافية أجريت معه جاء فيها إنه سيتوقف عن الكتابة بعد خمس سنوات، وإذ سأله محاوره عن السبب؟ أجابه أنا الآن في الخامسة والستين، وأرى إن السبعين عمر متقدم فيجب التوقف فؤاد التكرلي يحثه على نشر رواياته

الأستاذ علي الشوك يعود للحديث عن رواية (الأوبرا والكلب) في ص ٢٣١، قائلاً“ حين كتبت الأوبرا والكلب في أوائل التسعينيات طمرتها زهاء ست سنوات ثم نشرتها بعد أن استأنست برأي الصديق فؤاد التكرلي، وأيقنت أنها أجمل رواية كتبتها، هل قلت ذلك قبل الآن؟ أرجو المعذرة فأنا متقدم في السن مع ذلك فإنني لم أكتب الرواية التي أحلم بها، مع أنني كنت أشعر أنني قادر على كتابة رواية مذهلة إلا أن هذا لم يحصل لأنني ضيعت فرصتي في كتابات متفرقة“؟

ويؤسفني أن أجيب عن تساؤل الأستاذ الشوك، نعم لقد سبق وأن قلت هذا على الصفحة ١٩٤، إذ جاء فيها قولك“ أنا تلقيت ثناء لفكرة الرواية القائمة على الحلقة أو الحلقات المفقودة من السيدة رشيدة تركي، زوجة فؤاد التكرلي في رسالة في عشر صفحات أرسلتها إليّ بعد أن أرسلت المخطوطة في ١٩٩٨ إلى فؤاد التكرلي بعد أن طمرتها خمس سنوات، ثم شجعني فؤاد التكرلي على نشرها وأنا لم أكن في حاجة إلى هذه التزكية بعد أن ازددت ثقة الآن بأن رواية (الأوبرا والكلب) رواية جميلة جداً ولعلها أفضل عمل روائي كتبته (....).

لقد ظل علي الشوك يتوق إلى كتابة رواية أجمل، أو كما يصفها رواية مذهلة أما لماذا لم يكتبها فلانشغاله بقراءات متشعبة وكتابات متفرقة - كما يصفها هو-.

لقد عجبت من هذه القراءات البعيدة جداً عن مجال إبداعه، فهو فيزياوي ومختص بالرياضيات (دراسة ومهنة) وأديب وكاتب وروائي في مجال الإبداع لكنه يقرأ ويبحث في اللغات القديمة وجذورها وصلتها بالعربية، بالرجوع إلى مجلدات المعجم الآشوري الذي يزوده به الدكتور فوزي رشيد، واللجوء إلى قواميس عبرية وآرامية فضلاً عن دراسات مكثفة في الموسيقى كانت حصيلتها كتاب عن (الموسيقى الألكترونية) نشرته سلسلة الموسوعة الصغيرة، فضلاً عن قراءات في الأساطير السومرية والمصرية، والكنعانية، والعبرية، واليونانية، والرومانية، والعربية، والبحث عن جذر اشتقاقي أو قرينة لغوية لاسم (ليلى).

قراءات متشعبة وكتابات آذته إبداعياً:

وقراءات معمقة في الميثولوجيا، والبحث المضني عن الجذور الأصلية للعديد من المفردات والاصطلاحات، ويظل توقه لكتابة الرواية مؤجلاً، والعمر الإنساني القصير لا يسمح بهذا التأجيل، وحتى لو كتبها فإنه يؤجل نشرها أو (يطمرها) كما يقول هو نصاً، لماذا الطمر، والزمن القاسي يترصد بنا كل مرصد، ألم (يطمر) روايته (الأوبرا والكلب) ست سنوات ولولا حث فؤاد التكرلي لزاد الطمر ولربما لم تنشر!، أيجوز هذا ونحن نسابق الزمن في سيره المتراكض نحو اللا أين؟ كما يحدثنا أنه وجد نفسه مكرساً لاهتمامات أخرى كالموسيقى والفيزياء ويراها مهمة يجب أن تنال حقها من الاهتمام، قبل أن ينتقل إلى عالم الرواية!؟ تنظر ص ١٠٦.

مع أنه خلق مبدعاً وكاتباً، وهذه الانشغالات الأخرى أكلت من جرف إبداعه، فالموسوعية في زمننا أصبحت عبئاً على القارئ، وستكون أكثر أذى وعبئاً مضاعفاً على الباحث الكاتب وإذا كان الاستطراد، سمة الكتابة في أيام طفولتها، والجاحظ نموذج له، فإن الزمن المتسارع والمعارف التي تزداد وتتضاعف سنوياً ما عادت تسمح لنا بهذا التشعب والتوسع والاستطراد.

علاقتي الثقافية بالأستاذ عليّ الشوك، تعود إلى أيام مجلة (المثقف) التي تولى إصدارها ومجموعة من المثقفين العراقيين: الدكتور مهدي مرتضى وأمجد حسين، وخالد السلام، وغانم حمدون وهاشم الطعان، التي ما زلت أحتفظ بأعدادها كاملة أهدانيها قريب لي غادر العراق خريف عام ١٩٦١ للدراسة في بولونيا، وأيام (الأطروحة الفنطازية) و(الداددائية بين الأمس واليوم). في السبعينيات من القرن العشرين، وحضرت جلسة احتفاء بيت المدى به في ٢٠١٥/٥/٢١.

وكنت أترقب صدور مذكراته، كتابه (الكتابة والحياة) وكما قلت مراراً إن للمصادفات شأناً مؤثراً في حياتنا، فلولا طلب صديقه الفنان فيصل لعيبي منه كتابة صفحات في سيرته الذاتية تكون معيناً لفيصل في دراسة روايات الشوك، وكتابة حديث نقدي عنها، الشوك يرسل نسخة من هذه السيرة الحياتية للأستاذ فخري كريم، فكان جوابه عنها دافعاً لكتابة سيرة حياة أوسع وأطول، ولتكون هذه السيرة التي بين أيدينا تنظر. ص٢٦٦.

النص اللاحق، وتأتي أهمية هذا الموضوع في النص الروائي من أنه يقدم رؤية قرائية داعمة للنص الروائي، فيمكن القارئ من كشف

ثقافة وفنون

حكايات البيت والأزياء والطعام في العراق

■ د. عـلاء مشـذوب

لطالما شغلتني كتابات الباحث الأنثروبولوجي خضير فليح الزيدي، ومنها (تمر ولبن، سلة المهملات، أمكنة تدعى نحن، الباب الشرقي، سيد اسود باذنجان، ابن شارع)، لما تتميز بنوعيتها وخصوصيتها، وهذا النوع من الدراسات يكاد يكون نادرا من تعرض له على مستوى العالم وتشير الأنسكلوبيديا الى ان الأنثروبولوجيا علم حديث، برع فيه (كلود ليفي ستروس، مرسيل موس، رادف كليف براون وآخرون).

يسعى الزيدي جاهدا الى دراسة العلاقة بين الإنسان وبيئته البشرية، من خلال كل التفاصيل البسيطة، أولها اللغة وثانيها الأزياء والطعام وصولا الى السلوك والعادات والتقاليد، يبحر من خارج الإنسان الى داخله وبالعكس. ولذلك يتسيد الباحث الساحة العراقية بدراساته الانثروبولوجية بشقيها اللغوي والاجتماعي وفي بعض الأحيان المزاوجة بينهما حسب رأيي المتواضع، وهو في كل مرة يفاجئ القارئ بغوره في تفاصيل حياة الإنسان العراقي الغاطس منها والطافي وليس آخرها كتاب شاي وخبز، هذا الكتاب الذي نفد بطبعته الأولى ولم يكن قد مضى على إصداره أكثر من شهر. وهنا يُطرح سؤال مهم وسط هذا الموج الهادر للرواية العراقية والعربية عن الأسباب التي أدت الى نفاد الكتاب بطبعته الأولى، لربما هذا الاستفهام يستحق التوقف عنده؟

يذهب الزيدي في تقصّيه لعالم اللغة مبتدأ بـ(بلاغة التحشيش) وما ("القميص والجمعة“ إلا أثنين وربما أكثر، ففي جرسها الصوتي طقطقة لفقرات العمود الفقري للمفردات المتناحرة والجمل المتراصة والأفكار الشاردة بتبادل الحروف فيما بين الكلمات حتى تدل على معنى آخر ص١٠)، هذه الالتقاطات التي وضعها الباحث تحت مجهر بحثه وأخضعها للتشريح ومن ثم نظّر لها هي في الحقيقة أديم الواقع العراقي وخزين لا ينضب من الثقافة والمزاج الشعبي المسكوت عنها، والتي لم يسلط عليها الضوء، وإنما تظهر حسب الضرورة وتختفي باختفائها، ولكم جايلنا واحتككنا بمثلها ابان الحرب العراقية الإيرانية، دون أن تلفت انتباه الباحثين ليسجلوا ذاكرة الشعوب بكل أحزانها وأتراحها، لتكون شاهدة على مرحلة مجتمعية مرت من تاريخ الشعب.

لينتقل الزيدي الى موضوع الكذب والنصب على الآخر مستشهدا بالمثل الشعبي (لا يحلى الشاي إلا بطعم الكذب)، أن الكذب الأنيق خير من الصدق المهلهل. جماليات كذب“ القفاصة الجدد"، دون ازدراء الواقع العراقي عندما يغور في قاع الطبقة الشعبية قدر إضاءة كشافات البحث لسبر أغواره كما في حسن دراجة وبحثه عن الغلمان والحلوين، ومن ثم الى الـ(ستوتة - التوك تك - السازوكا - الطرطيرة) وتحولاتها من مركبة أرضية الى محل جوال للحيم الولدن والأوكسجين الى محل بقالة أو ربما عربة صندوقية مغلفة لبيع قناني الخمر المحظورة علنا ان (ما يشفع لي ان مادة هذا الكتاب قامت على فضيلة التلصص الحذر لحركة افراد الجغرافية والتاريخ المتلبسين وحكاياتهم على بقعة أرض متحركة كأرض رملية) وهذا ما يزيد الكتاب - شاي وخبز - رصانة وقوة كونه - أي الباحث - لم يكن حبيس الجدران وحلق في مخيلته ليتصور ويتخيل، وانما عاش وعايش الكثير من التفاصيل وغار في قاع المجتمع كما فعل ذلك من قبل في الباب الشرقي، وكتبه الأخرى. لكنه يتوقف كثيرا عند فترة الحصار، وكيف أن الجوع والعوز عرى الذات العراقية بعد ان وضعها في مواجهة غرائزها الفسيولوجية وفي مقدمتها الجوع الذي يعني الوجود، فقد كان الحصار يهدد وجود الإنسان العراقي ليبدأ بقصة الرجل وبناته الست ومن ثم ليضرب ضربته القاصمة من خلال ثقة منزوعة السلاح بالتساؤل الآتي : (بماذا تفسر كيف شرعت دوائر الدولة نظام صحّة الصدور؟ طبعا لكثرة الكذب والتزوير وانعدام الثقة، وما الأقفال الكبيرة وأجراس الانذار المبكر وكاميرات المراقبة و. و. ص٢٨). فالكتاب في بحثه يمتد لأكثر من ثلاث عقود ابتداءً من السبعينات صعودا، ليتنقل بين هذه العقود منتقيا كل ما يؤشر الذاكرة الشعبية العراقية.

كما يمتد الكتاب في أطلسه الى أربعة فصول أولها (عراقيون سوابق)، يتعرض الباحث فيه الى معنى وقصة السوابق او“ مصطلح (٥٦) على كل شخص يخرج عن السلوك النمطي التقليدي ليحتال ويمارس النصب والادعاء الكاذب على الآخرين، وفق مادة (٤٥٦) الشهيرة في العراق ص٣٢"، ولكن القارئ باللاشعور وربما يتلمس ما بين السطور من التلميح الى ان الكاتب مثل كثير من العراقيين يميل الى الملكية بعد ان غادرت شمس المدنية / الملكية كرسي السلطة مرغمة للتخلي عن فترة الأزياء الملكية التقليدية في البدلة الرسمية السوداء والقميص الأبيض والسدارة الباشوية / الفيصلية والأناقة الكلاسيكية الغربية بكامل عدّتها. كونه يزدري الجمهوريات التي تعاقبت على حكم العراق بعد ذلك من خلال حكاية : اسماء الذوات“ أول مرة أسمع بكلمة جمهورية عندما تعرفت على واحدة سوابق في بيوت الدعارة الرسمية تسمى جمهورية، وكانت شهيرة بلسانها الباشط والسباب المستحدث والفشار القادح الذي ترتجف له الأبدان... والزبون فوقها يرتجف من لسانها وعلو صوتها، جمهورية تشبه جمهوريتنا هذه بالضبط... إبان الجمهورية الأولى بسنين قليلة، تمردت جمهورية الصبية الصغيرة وخرجت عن نطاق العائلة، وهربت متخفية في أماكن بعيدة حتى تحولت الى أسطة بالدعارة ص٤٢".

يفسر ويشرح ويحلل ويأوّل الباحث التغيرات التي طرأت على العناوين الخاصة بالأشياء والأشخاص والأماكن، كما في تغيير مصطلح الجمهورية العراقية الى مصطلح ذكوري أسموها بجمهورية العراق وما عادت عليه هذه الذكورة من ثلم وانكسار للذات العراقية القلقلة، لينتقل بعدها الى القسم الثاني في الفصل الأول تحت عنوان (عراقيو الجمهورية) وبعنوان فرعي - الكمش والقشمر - يذهب فيه الكاتب الى مناقشة المصطلحات الشعبية التي نتجت عن التحول من الملكية الى الجمهورية وما أفرزته من معسكرات تدريب، في مقابل انزياح الدولة المدنية وعسكرة الذات التي تمزقت منذ لحظة الانقلاب الأولى وستستمر؟؟؟

ثم يبحر في عالم الطعام، والذي إستمد منه مقولة (شاي وخبز) عنوانا للكتاب، ليبحر الى داخل الانسان وهو يقول: اذ تعتبر المعدة هي المحرك الأقتصادي العظيم والذي يخفي الشخص سلوكه خلف شبقها المحتدم. ولعل عادة تناول الخبز والشاي عادة عراقية أصيلة. والكتاب خليط من الحكايات الشعبية المشاعة، مع رصد دقيق من قبل الكاتب للكثير من العادات والتقاليد المجتمعية للكثير من تفاصيله المهمة التي أغفلها الكثير من الكتاب والمفكرين.

٢٠١٧/٦/٧

جديد المكتبات

البانـدا... بـركان الدهشـة والتناقضـات

مـدارات وأحـوال كثيرة تناقشها رواية» البانـدا»، لمؤلفها إبراهيم حسّاوي، يصور معها واقعا معاشاً وحيرة نواجهها أمام الكثير من المواقف والحكايات الإنسانية، وذلك من خلال حكاية بطل يواجه جملة مواقف وتسيطر عليه أفكار كثيرة، منذ ١٥ عاماً انقضت على وفاة والده الذي قتل نفسه برصاصة مسدس كان قد اشتراه ذات يوم للدفاع به عن نفسه. فاخترقت الرصاصة صدغه ليفارق الحياة التي أدهشته بكل ما فيها.. وأدهشها بتلك الرصاصة بكل ما فيها من مباغتة غير متوقعة. كان العالم مدهشاً بالنسبة إليه..وكان يضحك كثيراً. ويبدو إن الكاتب اختار أن يضعنا مع تلك النهايات المفتوحة في روايته، أمام تخمينات واحتمالات لا تنتهي.

الجـــوع

صدرت عن دار المدى الطبعة الجديدة من رواية“ الجوع“ للروائي النرويجي كانوت هامسون الحاصل على جائزة نوبل للآداب ١٩٢٠، التي تتحدث عن شخصية من مدينة أوسلو تعاني فقراً مدقعاً وتكافح طيلة حياتها من أجل سد رمقها، وفيما عدّ مختصون إن صورة بطل الرواية الذي فضل الشمعة على قطعة الخبز أثّرت في نفوس المتلقين، وأكدت إن الجوع لا يمكن أن يقف بوجه المعرفة مهما كان قاسياً، انتقدوا حذف جزء من مضامين الرواية خلال طرحها سينمائياً. الرواية تتحدث عن شخصية من مدينة أوسلو لا تحمل

اسماً معيناً، تعاني من فقر مدقع لدرجة أنها لا تستطيع توفير كسرة خبز، وتكافح طيلة حياتها من أجل سد رمقها".

(الهوية المسيحية في الرواية العراقية)..

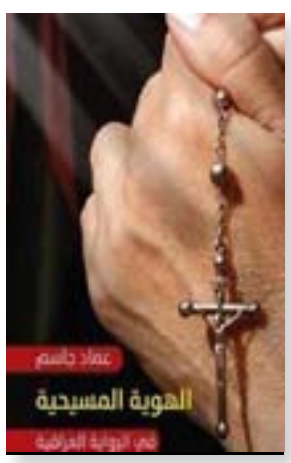

عن دار الشؤون الثقافية، صدر للباحث والاعلامي عماد جاسم كتاب بعنوان (الهوية المسيحية في الرواية العراقية)..ويتضمن الكتاب دراسة تحليلية لروايات مابعد عام ٢٠٠٣، مع قراءة معمقة للهوية العراقية والهوية المسيحيية عبر الغوص في تحليل سبع عشرة رواية عراقية تناولت قصصاً وحكايات المسيحيين في فترات متباينة من تاريخ العراق وعلاقتهم بالارض والبيئة التي عاشوا بها وتعايشوا مع ناسها..مع الإشارة الى اسباب وتاريخ هجرات المسيحيين وماتعرضوا له من مضايقات..يقع الكتاب في ٢٨٨ صفحة من القطع المتوسط وقدم له الكاتب والاكاديمي فارس كمال نظمي